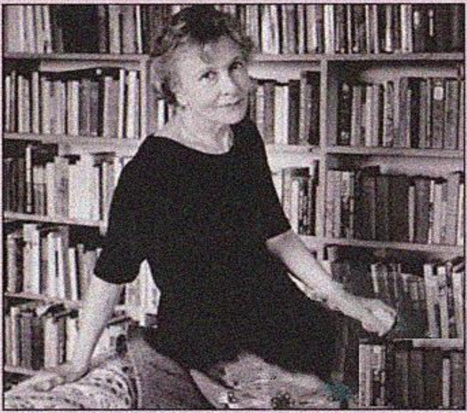
دنيس ليفرتوف

تقضمنا الحياة بثغورها الصغيرة



اختارها وترجمها: سامر أبو هواش

دنيس ليفرتوف

تقضمنا الحياة بثغورها الصغيرة

اختارها وترجمها: سامر أبو هواش

KALIMA كلمة

منشورات الجمل

دنيس ليفرتوف، تقضمنا الحياة بثغورها الصغيرة، شعر

دنيس ليفرتوف: **قضمنا الحياة بثغورها الصغيرة**، شعر
اختارها وترجمها: سامر أبو هواش، الطبعة الأولى

كلمة، ص.ب: ٢٣٨٠ أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٦٣١٤٤٦٨ ٢ ٩٧١ + ـ فاكس: ٦٣١٤٤٦٢ ٢ ٩٧١ +
www.kalima.ae
منشورات الجمل، ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٦٦٨١١٨ ٠١ (٠٠٩٦١)

Denise Levertov:
Life is Nibbling Us with Little Lips

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

دنيس ليفرتوف (١٩٢٣-١٩٩٧)

كتبت الشاعرة، المترجمة، الناشطة السياسية، دنيس ليفرتوف عام ١٩٦٠ معرفة بنفسها على النحو الآتي: «ولدت عند الساعة التاسعة مساء في الرابع والعشرين من أكتوبر ١٩٢٣، في «إيلفورد، إسكس»، في ضواحي لندن. يستطيع الفلكيون أن يستنتجوا ما شاؤوا من ذلك. كان أبي بول رجلاً أكاديمياً. . . أما أمي بياتريس فأنا مدينة لها، بين أشياء كثيرة، بحبي للطبيعة وقدرتي على القراءة بصوت عال. بما أنني لم أذهب إلى المدرسة (مطلقاً في حياتي) فقد توفر لي الوقت والعزلة لكي أبدأ بكتابة الشعر في سن مبكرة جداً. انتهى تعليمي الرسمي، تحت إشراف أمي، في الثالثة عشرة تقريباً. وكان منزلنا يغصّ بالكتب، وكانت هناك مكتبة عامة محلية ممتازة. عرفتني أختي أولغا (١٩١٤-١٩٦٤) إلى الشعر المعاصر، إلى الانطباعيين، وإلى المسرح، وإلى أشياء أخرى كثيرة. بعد بلوغي الثانية عشرة عندما بات مسموحاً لي التجوال بمفردي في لندن صرت أمضي الكثير من وقتي في المتاحف وصالات الفن التشكيلي.

خلال مراهقتي الأولى حاولت أن أتعلم رقص الباليه، وفي

نهاية مراهقتي أردت أن أكون رسامة؛ وأمضيت بضع سنوات (من دون أن أنهي التدريب الرسمي) أعمل كممرضة. بيد أن كوني شاعرة يظل الأمر الذي لم يخامرني الشك بشأنه منذ البداية. فكتابة الشعر كانت الأمر الذي أجيده والذي طالما مارسته. وليس من مجال آخر على الإطلاق أتمنى لو أنني انخرطت فيه. من دون أن يعني هذا أنني لم أعش مراحل من الذعر والشك بقدرتي على الكتابة.

في ربيع العام ١٩٤٧ طردت من المستشفى البريطاني في باريس لرفضي أن أكون جزءاً من فرقة تشريفات في مناسبة معينة. ذهبت مع إحدى الصديقات في رحلة عبر فرنسا. وفي نهاية الصيف ذهبنا إلى سويسرا لنبحث عن عمل والتقيت ميتش غودمان، وهو شاب أمريكي كان يبدأ للتو حياته ككاتب، وكان لقاؤنا في «دار الشباب» في جنيف. وتزوجنا بعد فترة قصيرة.

جئت إلى أمريكا عام ١٩٤٨ وبعدها بعام ولد ابننا نيكولاي. . . صرت مواطنة أمريكية عام ١٩٥٥، لكنني قبل ذلك كنت قد صرت كاتبة أمريكية».

كما قالت ليفرتوف فهي لم تتلق أيّ تعليم رسمي في حياتها. تكونت ثقافتها من قراءة أمها لها بصوت مرتفع أعمال الكتاب الكبار في القرنين التاسع عشر والعشرين من أمثال تولستوي وكونراد وديكنز. كانت بداية تعرفها إلى الشعر المعاصر من خلال أختها أولغا التي كانت تكتب الشعر في طفولتها. في سن الثانية عشرة أرسلت ليفرتوف بعض قصائدها للشاعر تي أس

إليوت الذي رد عليها برسالة تتضمن بعض النصائح العملية حول كتابة الشعر. في العام ١٩٤٦، وبعد نشر عدد من القصائد في مجلتي «شعر لندن» و«فصلية شعر»، نشرت ليفرتوف أولى مجموعاتها الشعرية «الصورة المزدوجة»، وقد لفت عملها نظر الشاعر الأمريكي كنيث ركسروث الذي نشر بعضاً من قصائدها في أنطولوجيا «شعراء بريطانيا الجدد ١٩٤٩». وقد أبدى ركسروث لاحقاً إعجابه الشديد بدرجة التحول الذي خاضته ليفرتوف بانتقالها من الشعر الموزون والتقليدي إلى الشعر الحر. خلال تلك الفترة باتت ليفرتوف مقرّبة من حركة «بلاك ماونتن» الشعرية (تبعاً لاسم كلية بلاك ماونتن) في «أشفيل»، نورث كارولينا، وتقرّبت خصوصاً من الشاعر روبرت كريلي الذي بات من أصدقائها المقرّبين والشاعر روبرت دانكن وتشارلز أولسون، وثلاثتهم كانوا يشكلون عماد ما عرف بتجربة «إيست كوست» أو «الساحل الشرقي» الشعرية.

في العام ١٩٥٧ أصدرت ليفرتوف مجموعتها الشعرية الثانية «الآن وهنا» التي دفعت ركسروث إلى أن يعتبرها «من دون مقارنة أفضل شعراء الشعر الطليعي الجديد».

من العام ١٩٦٥ رفعت ليفرتوف صوتها عالياً احتجاجاً على حرب فييتنام، لتصبح واحدة من أبرز الناشطين السياسيين، ولتتمكن من تجييش وتحفيز عدد كبير من الكتاب والفنانين احتجاجاً على الحرب، ليس فحسب من خلال الكتابة، بل من خلال التظاهر والاحتجاج المباشرين في الشارع. في العام ١٩٦٧

أصدرت مجموعة «رقصة الأسف» التي تعدّ من أفضل أعمالها الشعرية وأكثرها بساطة وتأثيراً، فعلى الرغم من حضور ثيمة الحرب فيها بقوة، غير أن هذه جاءت متداخلة مع أسى ليفرتوف الشخصي جراء وفاة أختها أولغا عام ١٩٦٤.

على امتداد حياتها الشعرية التي أنتجت خلالها نحو أربعين مجموعة شعرية وعدداً لا يحصى من المقالات النقدية، حافظت ليفرتوف، على الرغم من احتجاج كثر، على قناعتها بأن «الشاعر هو كلّ لا يمكن فصمه إلى جزئين، جزء هو الشعر، والآخر هو الحياة»، وبالتالي حافظت على انشغالها بالشأن العام، وعلى حركتها الاحتجاجية، من دون أن تسقط شعرها إلى مستوى المباشرة أو توقعه في الوعظ والتكرار.

من أعمال ليفرتوف الشعرية نذكر: «الصورة المزدوجة» (١٩٤٦)، «الحيتان» (١٩٥٢)، «الآن هنا» (١٩٥٦)، «عيون في رؤوسنا من الخلف» (١٩٥٩)، «أوه، ذق وانظر: قصائد جديدة» (١٩٦٤)، «رقصة الأسف» (١٩٦٧)، «الحياة في الحرب» (١٩٦٨)، «إعادة تعلم الأبجدية» (١٩٧٠)، «آثار أقدام» (١٩٧٢)، «مجموعة القصائد الأولى: ١٩٤٠-١٩٦٠» (١٩٧٩)، «صباحات مايو» (١٩٨٢)، «قصائد ١٩٦٠-١٩٦٧» (١٩٨٣)، «قصائد مختارة» (١٩٨٦)، «قصائد ١٩٨٦-١٩٧٢» (١٩٨٧)، «تنفّس المياه» (١٩٨٧)، «قطار المساء» (١٩٩٢)، «الحياة حولنا، قصائد مختارة حول الطبيعة» (١٩٩٧).

من «مجموعة القصائد الأولى، ١٩٤٠-١٩٦٠»

(١٩٧٩)

دويّ البنادق البعيدة

الأزهار ترتعش؛ آه، عين عباد الشمس
مفتوحة على وسعها في ترقّب حزين.
طيور السنونو تمضي غرباً وتعود،
وكتائب الغربان تدنو من الهضاب.

هذا النبض المكتوم شرقاً هو الحرب:
لا جرس يخترق الآن حلم المساء الصامت.
ذلك الشحوب في سماء المساء
لا يحيل صرخة الحرب همساً.

سارنين[1]

ثمرة القلب على جدار القلب
أينعت تحت شمس الحصاد،
ورغم حرّ الظهيرة فالفكر بارد
كوريقة شجر.
جرس البشارة وجرس الماعز
يتمايل على العشب؛
فراشات زرقاء تتلامس في الهواء
ثم تفترق.
كل شروع في حلم
يفسده هذا الضوء حتماً،
ولابدّ من المرور أمام النظرات الساخرة

---

(١) Sarnin مدينة سويسرية، عاصمة إقليم أوبوالدين، تقع على بحيرة سارنين.

للحيوانات المتبطّلة.
لا حاجة إلى الفرار
من هذه الجبال الراسخة
لا حاجة إلى الفرار
حيث البحيرة غير المبالية هنا
تقبل انعكاساً مضطرباً،
ولا تطالب بأي برهان
على التقوى أو البراءة.

استراحة

صفحة الليل السوداء تختلج خفّاقة:
الكلمات، مسترسلة في النوم أم مستيقظة،
ستولد الآن من الظلمة،
ذهبية برّاقة تملأ العقل
الشاخص نحوها ككوب ماء
على طنف النافذة
يمتلئ بالمطر.
لسنا أكثر وحدة في اليقظة
مما في النوم، ولا في العتمة
أكثر مما في الضوء،
لكن في وسعنا الآن أن نكون
أكثر إصغاء لا توقاً،
نمدّ مجسّاتنا المرئية

نحو إشارة ما، نحو صدى،
نحو انبعاث يسقط بطيئاً كريشة
تضيء أخيراً
أمام قدم الخوف الحائر.
لسنا أقل وحدة
في المدينة مما في العزلة،
على الأقل
هذه المرة نمكث - ساعة أو دقيقة؟ - بين
الحلم والحركة، حيث ليس من ضوء
سوى لمعان الكلمات الرقيق الذي يمنح
الحميمية مع كل أسف يحجب،
ويوقظ في الألم نقاء طرياً،
بحيث أنه مع طلوع النهار
نلتقي ملائكة مألوفين كانوا أخيراً دموعاً،
ونبتسم إذ نعرف أنهم ليسوا سوى
بعضاً من أشكال الخوف.

إلى الأفعوان

حين علّقتكَ حول رقبتي، أيها الأفعوان الأخضر،
وربّتّ على حلقك البارد النابض
بينما خاطبني فحيحك، وتوهّجت
حراشفكَ الذهبية كألسنة النار،
وأحسستُ ثقلك على كاهلي،
وفضة جفافك الهامسة
رنّت بالقرب من أذنيّ. . .

أيها الأفعوان الأخضر، قد أقسمت لرفيقاتي
أنك غير مؤذ! لكن الحقيقة
لم يكن يحدوني يقين، أو أمل في ذلك،
بل مجرّد الرغبة

في حملك،

رغبة خلّفت

أثراً طويلاً من المتعة،

بينما خشخشت وريقات الشجر

ثم تواريتَ في قالب

من العشب والظلال،

وعدتُ أنا مبتسمة

مسكونة بالوساوس

إلى صباح قاتم.

عزاء

إلى ن. ب

الذكريات في أحسنها أشباح زوجات قديمات،
شفافات وخرافيات، تقعقع سلاسلهن عالياً.
وحده الفوران غير المنتظر للدم التواق
يسعه احتمال الثقل الناهض
للأشباح الحقيقيين والقريبين،
مثلما على متن سفينة،
تلوح روح صخرة راسخة؛
هم دافئو الملمس
لكن إذ يتلاشون،
يقوّضون
متاريس اللامبالاة المحكمة.

يستحسن أن تمضي بجذل بين الوجوه الحجرية
التي، إذ تنظرين إلى الخلف، تلوح لك حية، لكنها لا
تطالبك بشيء،
لا ماضياً ولا مستقبلاً؛ وأن تشاركي «أبولو»
ابتسامته الغامضة، التي تحيط، كجملة موسيقية،
صمتك المصغي.

رأس يوريبيدس أو هرّ مصري مشدودّ
(رغم سكونه الشديد تحسّينه يلتفت ويتمطّى
كلما أشحت بصرك)
ليس أبعد من عاشق
في بلد بعيد (*أتمطر هناك،*
ذلك المطر الصغير فوق شوارع الوطن؟
أتنام جيداً أم تصغي إلى المطر يقطر من الأفاريز؟).

كذلك عينا بيزنطة الزيتونيتان المتشوّقتان الحزينتان
ليستا بحقيقيتين أكثر
من نظرات مُتذكّرة التقت
العام الفائت أو البارحة، وباتت الآن منسية
رغم ما تكابده الأشواق لإنهاض شبح.

في الأسفل هنا، في الأعلى هناك

نصلُ المنجل المتوهّج
الشارد في كتاب ساعاتي
حمل العشب الساقط، ذهبياً،
إلى أعلى نافذتي المائلة...

لكن هناك في أعالي الهضبة
يلفّكَ هواء الحقل،
المعول يغني،
ومعه جميع الطيور.

إلى الموت

فلتأت بالثروات.
فلترتد ثوب الخيال المزركش،
ولتؤدّ دورك
بكل جهل الممثل وبراعته.
عروسك التي تنتظرك بشوق،
فراشة مرتعشة تحترق
تحترق عند ثغرك،
ستضيف إلى ذخيرتك السوداء
مهراً يتلألأ من الرغبة والأحلام.

أوراق الخفة هذه وتلك الأغصان المثقلة
التي تنبض مع كل ريح حية،

الندى، الأزاهير، الثمر، قشور الحياة المرة،
ومذاق البحر...
هذه كلها هداياك
التي ستستحقها عند ممارسة الشعائر؛
أيها البليغ العادل العظيم، فلتزيّن
صورتك أخيراً بالأسف والنار.
ولتأتِ بالثروات
أيها الأمير المنتظر.

رباعيات منتصف الليل

على ضوء ثقاب ذهبي
أحبّ رؤية خطوط الوجه الحميمة
مثل براءة مكتشفة
في صحائف الفضيحة المغبرة.

عالقة في فتنة الحب هذه اللحظة،
في العالم المصغّر لشعلة مفاجئة،
أتعلّم هذه التضاريس الجديدة. . .
قفار لا يسعني ترويضه.

وإذ نصغي إلى المطر عند الناصية
نستشعر حقيقة حلم،
ونعرف عن كثب، قبل انطفاء عود الثقاب،
الأبدية الزائلة.

البريء

الهرّ يلهو
والفأر يتعذّب
لكن الهرّ بريء
لا صورة لديه عن الألم

ليس إلا ملاكاً
يراقص فريسته

يحملها، يحررها، يقفز ثانية
بمرح بلعبته العزيزة

رقص، صلاة!

يا لمبلغ قسوة هذا الهرّ

في عيوننا المذنبة.

الناس ليلاً

ليلٌ يفصلُ بينك وبينك
وبينك وبينك وبينك
وبيني: يفرّقنا كرجل
يخترق حشداً.
لن نبحث عن بعضنا أيضاً...
سنشرد، كلّ بمفرده، دونما تدقيق
في الحشد البطيء.
بين عروض الشوارع الصغيرة
تحت لافتات الأفلام،
صور صنعت من مليون ضوء
وعمالقة يتحركون ويتحركون ثانية
فوق غيمة من الروائح الكثيفة،
و«الهوت دوغ»، والجوز المشوي...

أو نصعد إلى شقة ما، شقتكَ
أو شقتكَ، لنجد
أحداً يجلس هناك في العتمة:
من هو، حقاً؟ فتوقد النور لترى: تعرف الاسم
ولكن من هو؟
لا ترى.

ضوء الفلورسنت يرتعش حزيناً، يتوقفون.
لكنك تصدر الأوامر. الضوء
يحمل كل وجه ويرفعه من شعره
لكي تراه، قناعاً بعد قناع.
أنت وأنت وأنت وأنا نكرر
الإيماءات التي تؤدي الغرض
حين تخفق الكلمات ونتكلم
ونتكلم، ضاحكين، قائلين
«أنا» و«أنا»
قاصدين «أي أحد».
لا أحد.

قصيدة حب

ربما كنتُ «جزءاً مريضاً
من شيء مريض»
ربما ثمة ما
يهيمن عليّ
بالتأكيد ثمة
ضباب بيننا
لأنني بالكاد
أراك
لكنْ يداك
حيوانان يزيحان الضباب
ويلمسانني.

صمت

بين بتلاتها ما زالت الوردة
تحمل بضع قطرات من مطر الصباح
الذي قصف ساقها.
في كلّ قطرة
يتلألأ ضوء قان،
أشدّ تورّداً من الوردة.
سنونوات رمادية زرقاء بذيل فينيق
تطارد بعضها، متباعدة
في أمل يائس، تلتفّ
حول المزهرية الطينية التي تنزّ، سوداء
بسبب الماء الذي فيها. الصمت
يسوّر الحقائق. لغة
لم تنطق بعد.

العاشقان

هي: منذ جعلتني جميلة
بتّ أخشى
ألا أكون جميلة.
المرآة الفضية القاتمة
تتجاهلني: لا
أحتمل صمتها،
صمت
غيابك.
أريد أن يشعّ
حبي لك من عينيّ ومن شعري
حتى يحار العالم
في سر الضوء الذي صنعه حبك.

هو: ليلاً، مستيقظاً وحدي،
أراك كما في ضوء ساطع
وردة
بين أنياب الظلمة.
المرآة، أسيرة عزلتها،
لا تصدّقك أكثر مني.

طويُ قميص

إلى س. ب

بينما تطوي قميصاً،
تتوقّف امرأة لهنيهات لكي تتذكّر
دفء الجلد؛ يداها الحريصتان

بطيئتان على الكم، تتذكر
إيماءة أو لمسة حب؛
تستند إلى جدار المطبخ،

تصيخ السمع إلى كلمة حب،
لكنها لا تسمع سوى صوتٍ أشبه بالخوف
يأتي من الغرف في الأعلى.

تطوي، مع الملابس المطوية، خوفها،
لكنها لا تستطيع وضع الرغبة جانباً،
ولا أن تُسمع الصمت.

رغماً عنها تطرح جانباً
الخبز والنبيذ والسكين
وتسوّي سرير العاشقين،

بينما الزمن سكين باترة
تذبح الساعات الحية،
طقوس الحياة العادية.

قصيدة

بعضهم يألف كثيراً دور المتشرد،
والمشاهد، والمصغي،
عند الأبواب المضاءة بالمصابيح
التي تفتح فقط لقرع سواهم،
يلاقون الظلال ويكونون أسعد مع الأشباح
مما مع الضيوف الأحياء في بيت دافئ.
يمضون في ساحات المدينة المعتمة،
معاطفهم تطيرها رياح المساء
أناملهم تحسّ ثقوباً مألوفة في الجيوب،
مفكّرين بأن الحياة لطالما كانت وهماً،
حلماً تتراقص فيه أجساد حالمة وراء الزجاج.
لكن بينما يعملون، أو يقفون شاردين وراء النافذة،
تاركين مياه الصنبور تجري والأطباق تتمدّد مبللة،

بينما المطر الناصع يلمع ناعماً على الحواف،
يشعرون أن الحياة برمتها ملكهم، يحسّون بالموسيقى،
«اللون، الدفء، والضوء»؛ أيديهم مطمئنّة
في يد الحب؛ والأشجار بجانبهم
معتمة ورقيقة، تنمو معهم،
جزءاً من العالم مع مدفأة وبيت وطفل.
همس عزلتهم كلها
سؤال لا يستكين: «من أنا؟
انعكاس ظلّ على الرصيف المبلل بالمطر،
أطوف النوافذ الحية،
ضيف نصف راض بين أشباحي؟
أم شخص يستطيع الآن، حين يتخيّل الضوء، الهواء،
الشمس،
أن يتخذ جذراً في الحياة،
أن يرث الحب؟».

الخوف من العميان

يتحسّس العميان طريقهم من حجر إلى حجر
ومن ظل إلى ظل،
تربّتهم الشمس
بين الحورات.
أغمض عينيّ وأصغي إلى صوت طوافهم
الخريفي الجاف.
أولئك الذين تنمو الأشجار في داخلهم،
الذين تقتحمهم الغيوم،
يعبرهم الأخضر، الأحمر، وأزرق
السماء الرنانة؛
الذين تبهجهم الأجنحة
أو الأعشاب الملوّحة على أكمام البحر المهترئة،

أخاف العميان:

لا أسمح لهم بدخول عالمي

لكنّ ظلالهم الثقيلة

توقفه عن الدوران.

إذن، أنت أيضاً

إذن، أنت أيضاً بعضٌ مني.
عزلتي تبدأ دائماً كما ينمو العشب،
أمواج تتدفّق فجراً من الشرق الرمادي
لكي تنسلّ على الرمل،
وتطوّق الجمال الغارق، والطائر الميت، والحذاء القديم؛
حياتي تستكشف الكهوف، تنسكب في البرك،
تتصيّد مع صيادين مرصّعين بالنجوم،
أمدّ أصابع عشبية، أصابع نارية،
وألمس اسمي محفوراً في الهواء،
جلدي يدنو مني في حلم.
أندفع كموجة تغسل قناع الغريب:

أنت أيضاً جزء مني،
وأنا أعبر بوابة عينيك،
يا شحاذي، يا أخي،
يا جواب البحر.

ما أسهل الكتابة عن المعجزات

يسهل كثيراً: أن نكتب عن المعجزات،
الأحلام حيث المشهور
ينطق بغموض حقيقة صامتة؛
وأن نخلط بين الثلج والنجوم،
أو أن نحاكي حكمة النجمة الفائقة.

سهلٌ كعويل صفصافة
هذا التشدّق على دروب قاحلة
حيث تشتعل البرك بنيران الأسف،
وينقّط المطر الحزين من أوراق الصفصافة الزاهية؛
أو الموت في الكلمات والانعطاف بغضب
للسير كأشباح بمحاذاة جدران الحرب.

لكن يصعب عندما، بريئاً مرتعشاً من البرد،
يحلّق طائر النهار فوق هضبة،
ويمضي في عذاب صرف إلى أرض غريبة،
إلى مشهد في رخام؛
إعادة السيل الرائع للأحلام الملونة إلى الغبار،
رائحة ألعاب نارية تملأ قنوات الماء
في الأماسي الخريفية... تصعب الكتابة
عن الصورة الحقيقية، عن اليد الحقيقية،
عن قلب يوم أو خريف يقرع بثبات:
الكلام عن الإيماءات البشرية،
تفسير عبارة بسيطة
... الساعة، الظل، النار،
رغيف الخبز على طاولة جرداء.

يصعب، تحت شمس واضحة، وزن كلمة
لكي تتوازن مع الحب...
عبء السعادة على كتفين مذعورين؛

ويصعب في وضح النهار
اكتشاف موسيقى الحب،
وبلوغ البلد المجهول
للقصيدة النهائية.

ذاك الذي كان

ذاك الذي هنا حيث تحمل الحياة كثمرة
موتها البعيد، سوف ينمو
في الألم البشري، والفرح البشري،
وسيعرف الموسيقى والنحيب،
فقط لأن زهرة غريبة من صلبك
تفتّحت في جسدي. من فرحنا
يبدأ تاريخ شخص غريب.
مَن هذا الراكب في العتمة؟
نضطجع على ضوء الشموع؛
حركات الطفل الخفية السريعة
تلكز بطني تحت يدك.
مَن، متشكّلاً في الفرح، ومن الفرح،
يضطجع تسعة أشهر وحيداً في عزلة مسوّرة؟

مَن هذا الراكب في العتمة
طاغية الجسد لمدة تسعة أشهر،
الذي يمكث تسعة أشهر وحيداً في صمت مسوّر
لا يسع عقلنا فهمه؟
مَن سيخرج من الظلمة،
مَن الذي بكاؤه سيستجدي رحمتنا،
ولن يعود الطاغية، وسيبقى وحيداً،
في عزلة لا تسع الذاكرة بلوغها؟
من الذي سيرضع هذين النهدين،
ظمئاً للحياة غير هيّاب منها؟
الذي عيناه من تلك العزلة تنظران؟

الوجه الحكيم للذي لم يولد بعد
قديم وبريء
يجب أن يتحول إلى جهل الطفولة
قبل أن نراه، ثالثنا الحتمي
الذي ينظر إلى حياتنا؛

يجب أن يجوع الطفل، أن ينام ويبكي وينظر،
لأسابيع طويلة
قبل أن يعلم شيئاً عن الضحك.
لا يسع الحب رجاء حياة بغير ظلمة؛
لكن فليكن الحب
في الحياة
التي صنعها حبنا.

مرسم «كريتش»[1]

مساند اللوحات: غرفة جرداء عارية:
بعضهم يرسم بالفحم، بعضهم بضربات ريشة واحدة،
بعضهم بحبر صاخب في الصمت.
المرأة
في استرخاء مشدود، يلوح عليها التصميم:

ضوء ساطع
يسحب ثقل النهدين
كصدى
لظل الفخذين الطويل،

---

(١) الرسام الأمريكي ألبرت كريتش (م. ١٩٢٢).

تواجه الملائكة بأسطح
هاربة، تلعب بالعناصر.

كونهم منشغلين، كونها لن تتحرّك عما قريب،
أمر يعاكس (مثلما تعارض ضربات باتروك[1] الوترية)
صرير، صرير، صرير الحيوات،
المندفعة في حمى دائمة.

على الورق، على القماش، ضربة، ضربة: طباق
لحني:
طاقة تعاكس
الطاقة المهدورة.

(١) المؤلف الموسيقي الهنغاري بيلا باتروك (١٨٨١- ١٩٤٥).

امرأة

إلى ل. ب

مثيرة لا بالإثارة وحدها؛ بل بما هو أرقّ:
«رائعة وتعيسة» وصف ليس بكاف:
امرأة مستغرقة في المسرّة
أو العذاب
أو ببساطة تعبر
من نقطة إلى أخرى:
تتمدّد بفخر
مستعدة للدندنة أو الغناء على نقر أو نغم.
شمالاً تصبو الآن عيناها الخضراوان
بحثاً عن باب
يُفتح في جدار
حيث لا باب، إلا إذا اخترعت واحداً:

جدار جليدي يُكسر باليد.

شمالاً

في الواقع وفي قلب الواقع:

الآن عيناها الخضراوان

استنفدتا بعيداً لمعانهما وعمقهما البحري

لقد رحلت تلك التي مكثت بغرابة شديدة.

ونحن... ننظر إلى بعضنا:

«أين ينبغي أن تكون هذه الموسيقى؟».

دورغان[٤]

إلى جي. أم

في «دورغان» حيث الأمواج سوداء كالسدر،
رقراقة كمياه بركة الأمنيات،
تربت الحجارة براحات ناعمة، ناظرة
في البرك كعيون ملغزة تحدّق في المرايا،
أو كموسيقى تبعث من الغابة حلم اليوم المستيقظ،
والجفونَ العمياء إلى عالم ملون.

مائل الرأس يخطو الآن شبحك الحيّ
في عقلي، ويتكئ ظلك

---

(١) دورغان: قرية صغيرة تقع على نهر هيلفورد في فالموث، بريطانيا.

على باب الأحلام المشقوق، وتنطبع آثار قدميك
فوق خطوات النوارس؛ ظلّ ظل، تضحك.
لكن منفصلاً، بعيداً، أنت حيّ:
لم تمت، وهكذا إني وحيدة.

مثل الطيور، تلك الأكواخ البيضاء والرمادية
المحتشدة على الصخور،
أو تحت أغصان قاتمة لكن غير كئيبة؛
أصدافٌ تجوس الرمل، أو أعشاب بحرية تتلألأ
بأصفرها الناصع، بينما تتقهقر المياه.
ساكنة في العاصفة أو بليغة في الشمس
«دورغان» الكئيبة التي لا يقصدها الغرباء
تنتظرنا دائماً، إنما دوماً ضائعة:
إننا منفصلان، لا أسرار تجمعنا، كلّ بمفرده؛
لن تصغي بعد الآن إلى رنين البحر.

عيد الميلاد في ١٩٤٤

بطاقات المعايدة الملونة فوق المدفئة لا تقرّب الأصدقاء،
ولا النار تحول دون تسلّل الصقيع.
الرذاذ المتلألئ والشموع على الشجرة
تقيم حجّة قوية للضوء؛
لكن انظر من الأبواب
قد بدأ المساء يحاصر البيت المغطّى بالستائر،
وها هو يدنو شيئاً فشيئاً؛
الحدائق ازرقّت من الجليد، وكل ترنيمة
تحمل ثقل المنفى وأغاني العبيد.
فلتأت إذن أيها الفقر، ولتدخل أيها الموت:
هذا العام كثر يضطجعون في البرد، أو يموتون في البرد

بحثاً عن أي دفء في أي غرفة صغيرة لإبقائك في
الخارج.
تجلس على مقاعد شاغرة محملقاً في عيون ضريرة؛
لا بيت لك الآن، تلقي ظلك على الأطلس
وتستريح في تعب لياليناالطويلة
بينما نضطجع حالمين بأوروبا.

طائر مرضّع أو قارب فوق المدفئة،
نيران تضطرم، شمعة في العتمة،
شجرة قاتمة جاءت هادرة تواً من الغابة،
هذا كل ما يحول بيننا وبين الريح.
للريح حكايات تسردها عن البحر والمدينة،
وباء في بيوت كثيرة، خوف يقرع الأبواب،
والأشجار ابيضّت من شدة أسفها من معارك بعيدة.
من تمكنه السعادة بينما الريح تسرد

ملاحم طويلة من الأسف؟ مع أننا آمنون
في دائرة مضيئة في مهرجان الشتاء
لا نجرؤ على الضحك؛ أو إذا ضحكنا، نكذب،
سامعين الكراهية تطقطق في الفحم،
صوت الخيانة، صوت الحب.

نافذة الغجرية

خشبة مسرح
فرشت بأخيلة المخمل،
والقطن والساتان، والشرائط والأربطة...

دعة فاتنة
بعثرت الأطباق المبتذلة والمسابح
ووضعت في الوسط
مزهرية داكنة ضيقة العنق،
ورود بيضاء وزهرية لم تتفتح بعد
إسراف من وريقات الورد الحمراء...

مشاهدتان تريان شاحنة تمرّ، من مقعدين قاسيين
وراء واجهة العرض، عجوز وحشية موقرة
تضع وشاحاً ملوناً، وشابة فاتنة
ثغرها وردة عملاقة مفعمة بالكبر. . .

شجاعة الاستعارة الطبيعية تُطلق في شارع
«هدسون» المغبرّ فرصة للشعر، فرصة
فرصة أن يمنح الشعر الأزهار شغفاً،
الأزهار على نافذة الغجرية في مزهرية
زرقاء، تبدو حقيقية، وهمية
كأنها حقيقية.

أبعد من النهاية

في «الطبيعة» ليس من خيار. . .
الأزهار
تتمايل في الريح، الشمس والقمر
هما الشمس والقمر. لكن يبدو أننا نكاد نحوزها (ليست
فحسب الموت المتوافر)

إنها الطاقة؛ نسيج العنكبوت:
لا «الاستمرار في العيش»، بل التسريع، التفعيل، الكدّ:
بعضهم يحوزها، يمتلكها بالقوة. . .
بالعمل أو الضحك أو حتى
في فعل الشراء، إذا كان هذا
كل المتاح لهم.

الفتيات المحتشدات في المتاجر، حيث الضوء،
واللون، والأحلام الصلبة... أيّ رغبات
سارّة! إنها مهرجانهن،
لعبتهن، نخبهن، ولغزهن.

ليست بسامية كالعشب،
كالإيقاعات المتواضعة،
كسقوط ورقة شجر أو نجمة؛
إنها بالكاد
شيء ثابت كالملح:
خذه أو اتركه

«الحطابون» وأمثالهم؛
كل حِرفيّ لعين
يملكها بينما يعمل
لكنها ليست مسألة عمل:

بعضهم يضيء بها، في سكون. وربما
كانت رداً، الرغبة في الرد. . . ـ «لا يمنح العقل
شيئاً البتة/ مثل
الرد على الرغبة») ربما
صرير أسنان، الذهاب فحسب إلى هذا الحدّ،
أبعد من النهاية
أبعد من كل ما ينتهي:
أن تبدأ، أن تكون، أن ترفض.

من «قصائد ١٩٦٠-١٩٦٧»

(١٩٨٣)

إلى القارئ

ثمة، بينما تقرأ، دبٌّ أبيضُ يبول
على مهل، صابغاً الثلج
بالزعفران،

وبينما تقرأ، آلهة كثر
يضطجعون في الكروم: عيون كالزجاج البركاني
تراقب أجيال أوراق العشب،

وبينما تقرأ
يقلّب البحر صفحاته السوداء،
يقلّبُ
صفحاته السوداء.

العالم في الخارج

. ١

على جدار المطبخ
لمعان ظلّ:
حجيج الحمام
الخاطف، احتفال الهواء
الحلزوني، قفز
السماوات.
وعلى نوافذ الشقق
بريق
بطيخ يتلألأ:
بقعة الشمس
تتجه غرباً في مكان ما من «هوبوكن»[١].

---

(١) مدينة في نيو جيرسي.

. ٢

راعي الماعز في الأعلى!
تتدفّق الموسيقى من نايه العذب
يرتحل من صيف لصيف
في الهواء المغبر ومسام الهواء
وبين طبقات السخام
التي تطفو ذاهلة
من مدخنة إلى مدخنة -
نغمات نائية، صافية، تتكلم عن ظلال
نحيفة تحت أوراق الزيتون. صمت.

.٣

تأوّهات، تنهدات، وفيرة كلها،
مع سعال وتمتمة، أوركسترا
من الحزن المستوحد؛ تحطّم زجاج، صوت خفيض
يكرّر «لا، لا.
أريد مفتاحي. لا، لم تفعل.
لا»... تعليقات عابرة.
وفي المقابل، على نوافذ أخرى،
الجهد المبذول للمرح، آه، والموسيقى العذبة!
تصفر، متداخلة... الأصوات الناحبة من شدة اللذة،
أتبلغ المتعة ربما، متأخرة، بعد إطفاء
أجهزة التلفاز، ولا يعود الصمتُ
سوى النوافذ المعتمة؟

تسلسل

١.

خطّ الأفق يتغيّر.
شطر النافذة مقفل
بنصف مستطيل
تعلوه أشكال
صغيرة تتحرّك.
إنك تتكلم
بصوت مسطّح «كما يشرب المرء
كوب حليب» (من أجل الكالسيوم).
فجأة الحليب

يراق،

سيل من الحليب الأسود يتدفق

في الغرفة،

مبقبقاً يغلي

في الزوايا.

٢.

«لكن وقتئذ كنتُ شخصاً آخر!»

المبنى محجوب بالصقالات.
حين يغادر البناؤون،
يأتي السكان،
ويملأون المساحة المكعبة
بالأنفاس والأحلام.
عبق ذكريات جديدة
سيمكث في الأروقة،
وسيلاحظه الأطفال
والكلاب العاجزة.
هذا سيكون آخر..
سيكون مبنى آخر.

.٣

كل ما قصدت قوله
«خط الأفق يتغيّر،
مساحة النافذة أصغر
من السماء
لكنها أكثف
ملطّخة بالإيماءات البشرية».

هذا ليس بكاف.
آه، إذا لم تره
فهو ليس بكاف.
حسناً.
صحيح.
لا شيء كاف قطّ

الصور تحطّم الحقيقة
إلى أشلاء.
وحليب النطق حمم سوداء.
السماء تنشطر
إلى ماسات زجاجيةٍ عديمة القيمة.

٤ .

مجدداً: منتصف ليل.
الصمت يرفع العيون الناصعة
المترعة
بالابتسامات والدموع
الحجرية المؤلمة.
أتصدّق ذلك،
في هذه الغرفة بالذات
طيور الوقواق الغيمية طرحت ريشها،
فبدت صغيرة
وحشية،
زاهدة بالموت؟
في الظلمة
حين الماضي يضع يديه على قلبك،
ألا تتذكر
ساعة الموت وضوء النهار الجديد؟

٥ .

لكن كم بغير سياق
يدخل ملاك السعادة العبثي،
حاملاً بيد علبة من أعواد الثقاب،
وفي الأخرى كتاباً من دعابات الأحلام.
أصحو ضاحكة، أخبرك:
«كنت أكتب
إعلاناً عن الذهب... الأكواب الذهبية،
الزبديات الذهبية...

الذهب،
رائع، يدوم...

بينما بحثت عن وصف
ثالث كنت تستعد
للمغادرة ثلاثة أسابيع...

هاك الحوالة المالية. وربما
بعد أسبوع أو نحوه سأتمكن
من أن أرسل لك
باونداً من الطماطم...

ثم ضحكت أنت أيضاً، وتعانقنا
في ضحك عار،
وارتعشنا
من شدة الرقة.
في الأثناء أشعل الملاك
الذي يرتدي الضحكات كعامل الجصّ
عود ثقاب
في بقايا الموقد: صقالات مكسورة،
شرنقات فارغة، عدة
التغيير غير المرئي.
ملأ الدخان عيوننا
لكننا ضحكنا
وشعرنا بالدفء.

المتنزهون في المطر

عجوز يلمع وجهه الأسود
ذهبياً كالحصى المبللة
تحت عمود الإنارة،
ينزّه في المطر كلبين مهجّنين
غير متكافئي الحجم،
في جادة أول المساء الناعسة.

ذلك الصغير الناعم يريد أن يتوقف،
مطيعاً روح سلة القمامة المتوسّلة،
أما الكبير الأجعد
فيريد الاستمرار في السير؛
لعلّ الرصيف البرّاق
يغريه بمصادفات سرّية.

يتزايد المطر. يبتسم العجوز حاسر الرأس
ويتمتم محدّثاً نفسه.
يتبدّل الضوء: تلقي أصداء الشارع الأبدية
ظلالاً طقوسية حمراء.

يمشي العجوز بين رغبات الكلبين.
ثم يختفي الثلاثة
في المنعطف الذاهب إلى طرف البلدة،
يكتنفهم إحساسهم ببعضهم، بالمتعة،
بالطقس، بالزوايا،
بالذبذبات العذبة التي بينهم
وبين الصمت الخاص.

الأعماق

حين ينقشع الضباب الأبيض،
تتكشف هاوية الضوء الأبدي.
آخر خيوط الضباب الرفيعة
كشباك العنكبوت فوق أشجار التنّوب
رقائق رماد أبيض في موقد العالم.

برد البحر
طباق هذه النيران العظيمة.
نكابد للخروج من برد هذا المحيط المتلظّي
ندخل محيطاً من ظهيرة كثيفة.
ملح مقدّس
يتلألأ على أجسادنا.

بعد أن نبلغ الضباب ثانية
متدثّرين بالصوف سميك،
فليذكّرنا طعم الملح
بالأعماق العظيمة حولنا.

نأتي إلى حضور الحيوانات

نأتي إلى حضور الحيوانات.
ليس من بشريّ أكثر براءة
من الأفعى. الأرنب الأبيض
الوحيد على السطح
نجمة ترتعش أذناها في المطر.
«اللاما» يطوي سرّاً قائمتيه الخلفيتين ويجلس
لا يزدري إنما يستخف قليلاً برضى البشر.
أيّ بهجة عندما «المدرّع» غير المكترث
يتفرّس بنا ولا يحثّ
الخطى إلى أجمة النخيل.

أي بهجة هذه؟ تلك التي لا يعقلها حيوان
بالكلام إنما يعرف أثرها؟
أن الأفعى لا ترتجف،
أن الأرنب يجوس محيطه الغريب
في صمت أبيض كنجمة؟
أن «اللاما» يجلس بكبرياء،
و«المدرّع» يسعى إلى شيء ما في غابة النخيل.
أولئك الذين كانوا قدّيسين ظلوا كذلك،
القداسة لا تتلاشى، في حضورها
البرونزي، وحده البصر الذي رآها
يدركها ويفرّ منها.
فرح قديم يعود في الحضور المقدّس.

جذور

شجرة حور تحت النجوم،
ماذا يمكنها أن تفعل.
والطائر في شجرة الحور يحلم
رأسه مائل
إلى منفى قريب بعيد تحت جناحه...
ماذا يسع كلاهما،
في انصهارهما الحائر
من الوريقات والريش،
أن يفعلا اتقاء للقدر؟

الصمت
وخاتم النسيان

يحمياهما حتى تشرق الشمس

بالذاكرة.

ثم يكسر الطائر بمنقاره

غشاء الحلم الذي في داخله،

والشجرة

تبسط الظل

الذي سيحرسها

طوال اليوم.

الراقد

رأسه بيزنطيّ أو من
الفيوم، كتفاه عاريان.
بعض شعر صدره القاتم
يبرز من الملاءة،

من أعماق رأسه الغارق في الظلمة
يرسل ابتسامة برّاقة
إلى غروب الغرفة الكالح،

يلقي رأسه، ظلاً قاتماً
ذهباً معتقاً،

على وسادة مسطّحة،
رجل محترم...

القوة واليأس
صامتان هناك على السرير،
خطّ أطرافه
نصف ظاهر، كما تحت طيات
من الحجر أو البرونز.

موتان

١ . أوسيب مندلستام[1]

حاملاً كأساً من المياه
المغلية
التي لم تبرد بعد
أمام مدفئة صغيرة
لا تمنح الكثير
من الدفء
كان جالساً يكرّر
تلك الكلمات الخضراء
عن لورا ولوريل
التي كتبها في «أفينيون»

---

(١) أوسيب مندلستام (١٨٩١-١٩٣٨): شاعر روسي.

عندما

من النهار الشتوي المعتم

دخل الموت بثياب خضراء

بعد أن قطع

بالقطار وسيراً على الأقدام

عشرة آلاف كيلومتر،

وإذ أفسح له مكاناً بجانبه،

رحّب به الشاعر، وسأله

عن أخبار الديار.

٢. سيزار فاليخيو[١]

جاء الموت امرأة حبيبة
صاحت في أذنه؛
أذنه التي خلقت لرصد
الأقلّ، أدق
بكاء الدودة
و بهجة اليعسوب،
وبالكياسة التي يقابل بها
جميع الأحياء المغفلين
الذين يمشون بأحذية بالية
انحنى احتراماً
ومن دون أن تجفله أنفاسها السوداء
مدّ يده
وسار معها
الطريق الذي جاءت منه،
ثم انعطف عند الناصية.

---

(١) سيزار فاليخيو (١٨٩٢-١٩٣٨): شاعر بيروفي.

العيش

النار في وريقة الشجرة والعشب
شديدة الخضرة حتى ليبدو
كل صيف آخر صيف.

الريح تعصف، أوراق الشجر
ترتعش في الشمس،
كل يوم آخر يوم.

عظاءة حمراء
ترتجف برداً فيسهل
الإمساك بها،

حالمة تحرّك قوائمها الرقيقة
وذيلها الطويل. أبقي يدي
مفتوحة لها لترحل.

كل دقيقة آخر دقيقة.

تنويعان

١ . تحقيق

يا من تخرج في الوقت المحدّد
لتمارس القتل،
أتعلم أن هناك عينين تراقبانك،
عينان احترق جفنهما،
تريانك تتناول «الستيك»
وتشتري لحم فتاتك
وتبيع عدّتك الحربية
وتنام؟
ليست عجوزاً،
تلك التي تعرفك عيناها.
ستعيش أكثر منك.

لقد رأت
أطفالها الخمسة
يذبلون ويموتون؛
ومنذ تلك الساعة
بدأت تراقبك،
تلك التي عيناها
مفتوحتان إلى الأبد.

٢ . الرؤية

واضعة يديّ على عيني
أرى الدم والعظام الصغيرة؛
أو حين تغطي وسادةٌ
المحاجرَ أرى رسمها؛
ليلاً يصير الومض ناعماً
لكنني أملك القوة الآن
لأرى أنه ليس ثمة سوى
رمادي على رمادي، ونائمين
ومذبح. أرى الأحياء والموتى؛ الموتى
كأنهم أحياء، فم أصغر أولادي يمتص
حليبي، إنه شبح؛
عبر جلده أرى
موت أولئك الذين يقال إنهم أحياء،
يأكلون الأرز ويكلّمونني
لكنني أرى موتاً بليداً فيهم
وبينما يتكلمون أرى نفسي

على حصيرتي، جسداً وعينين؛
عينان تريان اليد
في السماء الصافية،
يدٌ بشرية تطلق ناراً مبللة،
المطر الذي
منح عينيّ اليقظة.

كيف كانوا؟

١ . أكان يستعمل الفيتناميون
فوانيس حجرية؟

٢ . أكانوا يقيمون الشعائر
احتفالاً بتفتح البراعم؟

٣ . أكانوا ميالين إلى الضحك الهادئ؟

٤ . أكأنوا يتزيّنون بالعظام والعاج،
واليشم والفضة؟

٥. ألديهم شعر ملحمي؟

٦. أكانوا يميزون بين الكلام والغناء؟

١. يا سيدي، قلوبهم الخفيفة صارت حجراً.
لا نعرف إذا المصابيح الحجرية
أضاءت في الحدائق دروباً سارة.

٢. ربما اجتمعوا مرة احتفالاً بالبراعم،
لكن بعد مقتل الأطفال
لم يعد من براعم.

٣. يا سيدي، الضحكة تؤلم الفمَ المسفوع.

٤. منذ حلم ربما. الزينة للفرح.
كل العظام تفحّمت.

٥. لا نذكر.
تذكّر أن معظمهم
كانوا مزارعين؛
كانوا يعيشون
على الأرز والخيزران.
حين كانت الغيوم المسالمة تنعكس في حقول الأرز
وجاموس الماء يخطو واثقاً على المصاطب،
ربما كان الآباء يروون لأولادهم حكايا قديمة.
حين حطّمت القنابل تلك المرايا
لم يعد وقت إلا للصراخ.

٦. ما زال هناك صدى لكلامهم
الذي كان يشبه الغناء.
قيل إن غناءهم يشبه
طيران الفراشات في ضوء القمر.
لكن من يستطيع الجزم؟
ليس الآن إلا صمت.

الآهات

تلك الآهات التي يطلقها الرجال
حين يمرّون بامرأة في الشارع
أو على سلّم محطة الأنفاق

لكي يقولوا لها إنها أنثى
وإن لحمهم يعرف ذلك،

أهي نوع من النغمات،
أغنية بشعة بما فيه الكفاية،
يغنيها طائر مشقوق اللسان
ويقصد بها الموسيقى؟

أم أنها الهدير المكتوم
لبكم عالقين في مبنى
يمتلئ ببطء بالدخان؟

ربما الإثنان معاً.

رجال كهؤلاء يبدو التأوّه غالباً
كل ما يسعهم فعله،
بيد أن المرأة، رغماً عنها،

تعرف أنها تحية:
فإذا كانت تفتقر إلى أيّ جمال
سيمرون بها صامتين:

فإذن لا ليقولوا لها فحسب
إنها ثقب دافئ. إنها كلمة

في لغة الحزن، لا علاقة لها
بالبدائي، ليست لغة آشورية؛
بل لغة مخربة، معتلّة، مرميّة

في البلاء. تريد أن
ترمي التحية مشمئزة
ولا تستطيع،

لا تكفّ عن الطنين في أذنها،
ترتعش وتصرّ بينما يقترب القطار.
نبضها القاتم

يزيد من سرعته،
لكن عربات القطار تبطئ
وتتوقف فجأة بينما عقلها

لا يكف عن الترجمة:
«حياة بعد حياة بعد حياة تمرّ

بغير شِعر،
ولا كياسة
ولا حب».

ما دام يسعها العيش

الدردارة الصغيرة التي ينبغي قطعها
لأن جذورها تضرب جدار البيت

تخرمش وتطرق بإلحاح على نافذتي
لكن حين أنظر إليها أجدها ساكنة

أو إذا التفتّ صدفة نحوها،
تبدو أوراقها عيوناً، أو تصبح
أوراقها وفروعها وجهاً يضغط
أنفه على الزجاج، متنفساً غيمة،

تواقاً ليرى بوضوح حياتي
التي ما زال مجهولاً أوانها.

الجناحان

أحسّ بهما أحياناً متدلّيين من ظهري،
لا أستطيع رؤيتهما، لا أستطيع تحريكهما.

أعرف أنهما سوداوان،
أنهما حدبة على ظهري.

ثقيلة. لا
أتستطيع رؤيتها.

ماذا في داخلها؟ لا تخبرني،
فأنت لا تعرف؛ إنها

ما أخبرتني عنه...
قوة عدوانية

سوداء، يهبّ
منها الصقيع

يحاصرني
ويطرحك أرضاً.

لكن ماذا لو كانت، كسنام
جمل، طاقة صرفة

أخزّنها،
وأحملها محدّبة وثقيلة؟

ماذا لو لم تكن سوداء،
لو لم تكن رعباً،

مجرد غباوة الغضب البارد
أو أنها سوداء فقط لأنها هناك؟

ماذا لو أنها إذا أطلقت في الهواء
صارت مصدراً أبيض للضوء؟

انظر إلى الداخل:
أتراني بجناحيّ الصغيرين

أحدهما ريشه أسود
كالسخام،

الثاني أبيض لمّاعاً
يتوهّج جمراً .

حسناً أيمكنني التحليق
على جناح واحد فحسب...

ذلك الجناح الأبيض؟

أغنية الظمأ

تفلحُ تفلحُ
في حقولها المختارة
تسقط الورود
ضحيّة ضعف قلبها.

إذ عالياً
ترتفع
لا أحد يأخذ الثمن في الحسبان.
القمر الأزرق
يضيء ظلماتها الوفيرة.

الدودة

سيدة التراب
تبرز من درب
أنشأته بنفسها.
قصور الاستعارات!
حصون الأبراج
الرقيقة
تجمع التحف
بينما تقلّص
عضلة كينونتها وتمدّدها،
مغلّفة في ذاتها،
تحفر.

إنها
تحية الأرض،
تغذّي
التربة بأنفاسها.

نهار يبدأ

سنجاب أليف، بعض الدم
ينبجس
من رأسه المبتور

يسقط على العشب المبلّل بالمطر
قرب باب سقيفة الحطب.
عند درب البيت

أول العيون
فتحت منذ الفجر،
أثيرية، لونها البنفسجي

أقرب إلى الرمادي الشفاف
عروقها الداكنة
زرقاء كالكدمات.

يحدث باستمرار

مثل كلاب المكسيك،
يصل العذاب

منهكاً يصل من اللامكان
متساقط الشعر، مجروحاً، مشوّهاً،

يريد أن يبرهن أن له عينين وادعتين،
وذيلاً بائساً؛

يريد أن يُحبّ. أعطه بعض الحب
على هيئة كعكة جافة،

سيأخذها ويجري بقوائمه الثلاثة
مبتعداً، مذعوراً،

لكنه سيتلكأ على مقربة
وسيعودُ. صديقاً.

من «قصائد ١٩٦٨-١٩٧٢»

(١٩٨٧)

الصندل المقطوع

حلمت بأن صندلي انقطع.
لاشيء يثبته على قدمي.
وكيف أمشي الآن؟
حافية القدمين؟
الحجارة القاسية، الطين. سوف
أعرج.
و. . .
إلى أين كنت ذاهبة؟
أياً كان، أين أستطيع الذهاب الآن
بغير أذى؟
أين يسعني الوقوف،
إذا كنتُ سأقف ثابتة الآن؟

الربيع البارد

. ١

عشرون عاماً، أربعون عاماً، ليست بشيء.
ولا حتى سراباً،
ولا رمشة عين.

الحياة تقضمنا بثغورها
الصغيرة، تغمر ركبنا،
أكتافنا.
لا فرق
بين القبلة وتربيتة الزعنفة.
أحياناً فحسب

تحمرّ المياه،
وننجرف مع التيار.

الولادة، الزواج، الموت، كل هذا عرفناه،
شطبناه من لائحتنا،
وما زلنا نقف

على أطراف أصابعنا في الطين،
نصف طافين،
والمياه تبلغ العنق.

يا للمستنقع الهائل.

٢.

أنى لي أن أعرف؟
تمايل الصفصاف المائي
انجراف
أعشاب الماء،
باقات
الأخضر
على الأشجار،
(أزاهير، لا أوراق
تحمل بذوراً صغيرة متعنقدة
لها أجنحة
لتطير في الخريف)
وأياً كان
من ألتقيه الآن،
على الممر.
ليس بكاف.

. ٣

علم الأحياء والحاسوب. . .
المحاضر يشير
إلى أننا قدماء،

نحن الذين نشأنا
نحو اليوتوبيات.

في فقدان ذاكرة القلب هذه،
أطوف.

أكاد أصدقه.
ماذا أفعل الآن؟
قصيدة، التفاتة،

بعض التيقّن
بالمسرات الحارقة...
خمس نغمات، عودة،
الطائر الأعظم...

هدنة، للقمر الجديد
أو انقلاب الشمس في الربيع،
وفي منتصف الليل يُستأنف إطلاق النار،

بعيداً.
هذا ليس بحقيقي.

أردنا أن يعيش فينا
أكثر ما في حياتنا.
أن نتخيل واحدنا الآخر.

. ٤

عشرون عاماً، أربعون عاماً،
«العيش في الحاضر» كان يوتوبيا
مضت قدماً

في الدموع تعثّرت، هوت
نهضت، مضت. . .
والآن وصلت،

الوجهة المفتوحة بغرابة،
وليست كما يتضح لنا،
دائرة من الحجارة المقدّسة،

لا هيكل،
لا ذروة،
لا واد عميق،
ولا سرّة العالم،

بل سهلاً منبسطاً،
فقط أزاهير الشجر الخضراء
التي تحجب بغلالة رفيعة وهج النهار

وبلا صمت...
نسمع الازدحام، الطريق العام
على مرمى حجر منا.

هل وصلنا؟

٥.

ليس هذا هو المكان.
قد غادرته الروح.

عائدة إلى ذلك الطين أحسست بقدميّ
كما حين سقطتُ طفلةً عن جسر
وكدت أغرق، لكن حين نهضت

وجدت نفسي أقف حالمة
تحملني المياه،
شعري عشب مائي.

٦ .

ثغور الأسماك على لحمنا.
الريح تندفع إلى أفواهنا.
عشرون عاماً خُضّبت بالحمرة
الدوائر المنشورة.
رمشة عين،
لا شيء،
مستقبل مهجور . . .

.٧

إذا وجدت قصيدتي نشيد موت
إذا وجدت أنها انتهت
بينما أنتظر الخطوة التالية.

اللاربيع ليس حقيقياً في عيني،
أحفظ أزاهير الشجر عن ظهر قلب.
الحب، عشرون عاماً، أربعون عاماً، حياتي،
أجدها غير حقيقية.
أحب فقط الغريب
الآتي لملاقاتي الآن
أعلى الدرب المحتشد
بالطلح الأصفر الساقط.

أنا من لست علي وشك الموت،
أنا من أحمل حياتي معي مكشوفة،

صحتي ممتازة، خطواتي خفيفة،
أنا البهيجة، الجائعة،

عجلتي تدور. تتوقف
عند نقطة البصر.
وقد اضمحلت إلى عين
نسيتُ
ما
كنته.

أسأل الربيع البارد
ماذا لو كانت قصيدتي نشيد موت؟

عند ضريح دافيد

إلى ب. وهـ. ف.

أجل، إنه هنا
في هذا الحقل المفتوح، تحت نور الشمس،
بين الأشجار القليلة اليافعة
المصمّمة على تلطيف الحقيقة العارية...

إنه هنا،
لكن فقط لأننا هنا.
حين نذهب يذهب معنا

لكي يكون أيديكم
التي لا ترتكب عنفاً،
عيونكم المرتحلة،

حيواتكم التي تمجّد الحياة كل يوم
بعيشها، وبالضحك.

ليس وحيداً ههنا قطّ،
لا يطاوله البرد في حقل الأضرحة.

يأس

بينما كنا نزور ضريح دافيد
رأيت على مسافة قصيرة
امرأة تهرع نحو ضريح آخر
مادة يديها، متعثرة في عجالتها،
ثم واقعة
على الشاهدة التي تهمّ إليها
ثم تمدّدت فوق الضريح، باكية،
وكان بكاؤها عويلاً.

كانت أنيقة الملبس في معطف شاحب
ولم تبد شابة ولا عجوزاً.

لم أستطع رؤية وجهها، وبدا
أن أصدقائي لم يدروا بوجودها.

لم أقل شيئاً لكي لا أحزنهم.
لكنها لم تكن طيفاً.

وحين سرنا عائدين
بصمت إلى سيارتنا
نظرت خلسة إلى الوراء ورأيتها تنهض
عن الضريح وتهدئ نفسها وتبدأ بالتراجع
ببطء عن الضريح.

على عكس دافيد الذي يعيش
في حيواتنا، بدا أن أياً كان
من تبكي عليه يمكث
هناك في الحقل، تحت الحجر.

بدا أن المرأة تعتقد
أن من تحبه يسمعها،
يسمع نحيبها،
يرى عري عذابها،

ويأبى أن يتكلم.

القلب

في أية لحظة
ينكسر القلب لأتفه الأسباب...

الفقراء ينهضون في أفضل أحوالهم،
الأثرياء يحاولون، يحاولون الإرضاء...

كلّ لمسة وينشأ صدع جديد،
يا لها من شبكة.
تذكّرني بطبق صيني قديم
تُرك طويلاً في الفرن.

إذا على العضلة الدامية يضخّ
اسمه في القفص الصدري

كل نقرة قدر تنقش ِنفسها،
من سيعيش طويلاً؟

لكن هذا يعزّز الاستجابة السريعة،
دونما إدراك للمطلق.

كوارث التاريخ تثقله
عذابات الضمير تضغط على جوانبه

لكنها لا تشقّه ولا تفتته إلى غبار
ماذا تحت الجلد المتصدّع؟

ان تطلب قمراً (١)

ليس القمر. بل زهرة
على الضفة الأخرى من المياه.

المياه تندفع وتحمل
شجرة كاملة من شعرها،

تحمل حظيرة، جسراً. الزهرة
تغني على الضفة البعيدة.

ليست زهرة. بل طائراً يصدح،
مختبئاً بين أكثر الأشجار ظلمة،

موسيقى فوق المياه، تصنع صمتاً
من الحقول السمراء لعباءة النهر.

القمر. شاب يمشي
تحت الأشجار.

وثمة قناديل مضاءة
بين أوراق الشجر.

رقيق، حكيم، مرح
وجهه يشرق بضوئه الخاص

أراه على الضفة الأخرى.
مهرّج تنبعث الموسيقى عميقة من أجراسه،

نغمة أسف،
أرقص على وقعها على الضفة الأخرى.

أن تطلبَ قمراً (٢)

ليس القمر. أن تكوني رأساً برونزياً
يسكنه إله.
جذعاً من الغرانيت
أهمل في العراء عشرة آلاف عام،
تعشقه الغيمات العابرة.
ظلالها تصبغه بضربات من أزرق الغبار.
تسلم نفسها له في مطر لانهائي.
أن تكوني غيمة. متخمة بالتجوال، تمسك
روعة التغيير من الداخل، روعة الذوبان،
المطر.

أن تستلقي في أحلام

شاب

شعره

بلون شجر الماهاغوني.

ألاّ تملك

ألاّ تملك، لكن أن تكون.
قلب الجرو الأسود،
آه، أن تضطجع هناك كبذرة.

أن تصبح المعشوق.
بينما ينتهي العالم، أن تدخل
النغمة الأخيرة من موسيقاه.

القناع

«إذ ثمة مغامرة أكبر
في السير عارياً»
و. ب. ييتس

عارية مشيت
منذ البداية

مستنشقة حياتي
متنفّسة
القصائد،

فخورة
ببراءتي.

لكن من غيوم الأغنيات صُنعت أنفاسي
في الصقيع

نبتت عباءة
بيضاء
حيث هنا كلمة
هنالك أخرى
تتجمّد، لمّاعة، ثقيلة
كحجر.

لم أقصد قناعاً،
كأنما كان الجليد
غلالة وجهي.
عينان شاخصتان،
صمت متلهّف في صلب الأغنية.

الحياة من حولنا

شجرات الحور والسنديان مستيقظة
طوال الليل.
وفي جميع تقلّبات الطقس طوال العام.
ثمة شيء
غير محدّد.
غروب الأمس،
وقد أشرف أغسطس على الانتهاء،
ظلّ يتبدّل ببطء حتى الفجر.
الأصوات البشرية
كانت مكتومة خلف الستائر.
وليس من بشريّ رأى الليل في الحديقة،
وهو يتسلّل أزرق نحو الصباح.

وحدها الأشجار الضريرة،

بغير خلايا دماغية،

عاشته

وعرفته بالكامل.

معرفة الطريق

يمامة الغابة نطقت
ببطء
تلك الكلمات التي عليها
أن تنطقها،
وبنعومة.
لكنها فرّت
بجسارة،
وطارت سريعاً.

انتظار

الشجيرات على جانب الطريق تنتظر، تنتظر.
وليس من أحد
لملاقاتها.
ذهبية في غيمة غبار من شعاع الغروب
أمرّ أيضاً.

شمس، قمر، وحجارة

«كنت متشوقاً للرحيل، أن أسلك درب الجبال الجرداء، المعزولة قبالتي، وأسير بلا توقف، من دون أن أرى شيئاً سوى الشمس والقمر والحجارة»

نيكوس كازنتزاكس

شمس
قمر
وحجارة
لكن أين لنا أن نجد
المياه؟

الشمس
ترفع كل الأشياء عالياً وخارجاً
تنشب
سيف الظمأ في الفم.

القمر

يملأ الرحم جليداً.

الحجارة: أسلحة

تحمل الدفء إلى الليل،

والندى إلى النهار، وتمزق

جلد القدم المتعثرة.

وقد ولدنا لهذه النهاية الوحيدة:

أن نظمأ ونكبر

أن نرتعش أن نحلم

في الندى المتباطئ، في الدفء المتواني

إلى بحث متعثر.

لكن، آه،

أين لنا أن نجد الينابيع؟

تطفل

بعد أن بترتُ يديّ
وأنبتُّ يدين جديدتين

شيء ما تاقت له يداي السابقتان
جاء وطلب مني أن أهدهده.

بعد أن ذبلت عيناي المقتلعتان
ونبتت مكانهما عينان جديدتان

شيء ما انتحبت عليه عيناي السابقتان
جاء وطلب مني الشفقة.

سيناريو

مسرح الحرب. في الكواليس
ألف ممثّل يبكي.

يسار الخشبة، قوي الإضاءة،
حيث كومة من الجثث غير المدفونة،

أو أشلاء أجساد. يمين الخشبة،
قرب بعض الخيزران الميت الذي يلعب دور الأجنحة،

جسد تام، رشاش «نابالم»
يعمل عليه.

تدخل العروس.

لديها نهد واحد، وعين واحدة،
ونصف فروة رأس صلعاء.

تمضي عارجة إلى وسط المسرح.

يدخل العريس،
جندي شاب، هزيل،
لكن بغير جروح مرئية. يراها.

بطيئاً في البداية، ثم أسرع وأسرع
يبدأ بالارتعاش، والارتعاش،

ثم يتمزّق مرتعشاً. ستارة.

المحتويات

لمحة عن المؤلفة

دنيس ليفرتوف (١٩٢٣-١٩٩٧): كتبت الشاعرة، المترجمة، الناشطة السياسية، دنيس ليفرتوف عام ١٩٦٠ معرفة بنفسها على النحو الآتي: «كان أبي بول رجلاً أكاديمياً. . . أما أمي بياتريس فأنا مدينة لها، بين أشياء كثيرة، بحبي للطبيعة وقدرتي على القراءة بصوت عال. بما أنني لم أذهب إلى المدرسة أبداً فقد توفر لي الوقت والعزلة لكي أبدأ بكتابة الشعر في سن مبكرة جداً.».

عام ١٩٥٧ أصدرت ليفرتوف مجموعتها الشعرية الثانية «الآن وهنا» التي دفعت ركسروث إلى أن يعتبرها «من دون مقارنة أفضل شعراء الشعر الطليعي الجديد».

من أعمالها الشعرية: «الصورة المزدوجة» (١٩٤٦)، «الحيتان» (١٩٥٢)، «الآن هنا» (١٩٥٦)، «رقصة الأسف» (١٩٦٧)، «الحياة في الحرب» (١٩٦٨)، «إعادة تعلم الأبجدية» (١٩٧٠)، «آثار أقدام» (١٩٧٢)، «صباحات مايو» (١٩٨٢)، «قصائد مختارة» (١٩٨٦)، «قصائد ١٩٨٦-١٩٧٢» (١٩٨٧)، «تنفّس المياه» (١٩٨٧)، «قطار المساء» (١٩٩٢).

لمحة عن المترجم

وُلد **سامر أبو هواش** عام ١٩٧٢ بصيدا - لبنان. درس الإعلام والصحافة بالجامعة اللبنانية ١٩٩٦. كاتب وصحافي. له العديد من الأعمال الشعرية والترجمات الأدبية، منها: **الحياة تُطبع في نيويورك**، شعر، بيروت ١٩٩٦؛ **تحية الرجل المحترم**، شعر، بيروت ١٩٩٩؛ **تذكّر فالنتينا**، شعر، بيروت ٢٠٠١؛ **جورنال اللطائف المصوّرة**، بيروت ٢٠٠٣؛ **نُزل مضاء بيافطات بيض**، شعر، بيروت ٢٠٠٥؛ **عيد العشاق**، رواية، بيروت ٢٠٠٥؛ **السعادة**، رواية، بيروت ٢٠٠٧. من ترجماته: يان مارتل، **حياة باي**، رواية، ٢٠٠٦؛ جاك كيرواك، **على الطريق**، رواية، ٢٠٠٧؛ حنيف قريشي، **بوذا الضواحي**، رواية، ٢٠٠٧.

هذا الكتاب

ربما كنت ((جزءاً مريضاً
من شيئ مريض)))
ربما ثمة ما
يهيمن عليّ
بالتأكيد ثمة
ضباب بيننا
لأنني بالكاد
أراك
لكن يداك
حيوانات يزيحان الضباب
ويلمسانني .

ISBN 978-3-89930-343-8
9 783899 303438

كلمة
KALIMA

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة